Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

الموروث الشعري في شعر الصداقة والصديق لدى الشريف المرتضى "دراسة تحليلية"

علي أفضلي [١][*] ، سعدالله همايوني [٢], قاسم عبد الحسين إبراهيم[٣]
(١) قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طهران، إيران
(٢) قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طهران، إيران
(٣) قسم اللغة العربية، وآدابها والعلوم الإنسانية، جامعة طهران- إيران

(*) الكاتب المسؤول: ali.afzali@ut.ac.ir

الملخص

تعد الصداقة والصديق من الموضوعات التي حظيت باهتمامٍ واسع في الشعر العربي، وعُدَّ الشريف المرتضى (٣٥٥هـ – ٤٣٦هـ) علماً من أعلام الادب والفكر ومن فلاسفتها في العصر العباسي، عُرف بعلمه الغزير، ومنزلته العالية في الفقه والكلام والأدب، أخذت الصداقة حيّزًا واسعًا في شعره، ممّا يمثّل مكانتها في حياته وفكر، يُعبّر الشريف المرتضى عن نظرة فلسفية وعقلانية للصداقة، فهي علاقة تقوم على امتزاج المودة الخالصة والتجرد من المصالح والأنى، وقد استطاع أن يميز بين الصديق الحقيقي والمدّعي، وتعدّ الصداقة الحقيقية نادرة الوجود، فهو يعتقد بأن الصداقة تختبر عند الشدائد والملمّات، وهذا يعكس تجربته الحياتية وعمق فكره، كما يُعبر عن خيبته من تقلص الأصدقاء تارة، وتارة أخرى يعتبر الصداقة علاقة إنسانية صادقة ترتكز على الوفاء والصدق والإخلاص، فمن خلال ما تقدم نجد الشاعر قد كشف في شعره عن فهم عميق لقيمة الصداقة والصديقة، ويرصد تحوّلاتها في ضوء التجربة الشخصية والسياق الاجتماعي. وقد استطاع أن يمنح هذه المفاهيم بعدًا إنسانيًا وفلسفيًا يتجاوز المألوف في الشعر التقليدي، مما جعله واحدًا من الأصوات المميزة في هذا المجال، يضاف إلى ذلك أن اللغة والأسلوب التي امتاز بها شعره في هذا الجانب بالصدق العاطفي، والبلاغة العالية، واستخدام الرمز أحيانًا. كما اتصف أسلوبه بالحكمة والموعظة، مع مسحة حزينة أو ناقدة.

الكلمات المفتاحية: الموروث، الشعر ، الصداقة، الصديق، المرتضى، تحليلية

تأريخ الاستلام: ٢١-٤-٢٠٢٥ تأريخ القبول: ٤-٦-٢٠٢٥ تأريخ النشر: ١-١٢-٢٠٢٥

The Poetic Heritage of Friendship and Friendship Poetry by Al-Sharif Al-Murtada "An Analytical Study"

Ali Afzali [1][*], **Seenaa I. Hussein**[2], **3**
(1) Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities,University of Tehran, Iran
(2) Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities,University of Tehran, Iran
3 Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities,University of Tehran, Iran
(*) Corresponding author :ali.afzali@ut.ac.ir

Abstract

Friendship is one of the themes that has received wide attention in Arabic poetry. Al-Sharif al-Murtada (355 AH – 436 AH) is regarded as one of the prominent scholars, philosophers, and literary figures of the Abbasid era. He was known for his vast knowledge and high standing in jurisprudence, theology, and literature. Friendship occupied a significant space in his poetry, reflecting its importance in both his personal life and intellectual worldview. Al-Sharif al-Murtada presents a philosophical and rational view of friendship, portraying it as a relationship grounded in pure affection and free from self-interest and ego. He was able to distinguish between a true friend and a pretender, asserting that genuine friendship is rare and can only be tested in times of hardship and crisis. This perspective reflects his life experience and intellectual depth. At times, he expresses disappointment at the shrinking circle of loyal friends; at other times, he views friendship as an honest human bond based on loyalty, truthfulness, and sincerity. Through the above, Kprofound understanding of the value of friendship and female friendship, observing its transformations in light of personal experience and social context. He has been able to give these concepts a human and philosophical dimension that transcends the familiar in traditional poetry. This made him one of the most distinguished voices in this field. In addition, the language and style of his poetry in this area were characterized by emotional honesty, high eloquence, and the occasional use of symbolism. His style was also characterized by wisdom and admonition, with a sad or critical tone.

Keywords: *Heritage, friendship, friend, al-Murtada, analytical.*

Received: 21-4-2025 Accepted: 4-6-2025 Published: 1-12-2025

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

المقدمة

١-١. بيان مسألة

تُعدّ الصداقة من أسمى العلاقات الإنسانية وأرسخها أثرًا في النفس، وقد شغلت مجالًا كبيرًا في وجدان الشعراء والأدباء عبر العصور التي تناول فيها الشعراء ذلك الموضوع الاجتماعي، ولم تكن هذه العلاقة بالنسبة للشاعر ليست سوى رابطة اجتماعية؛ بل كانت ميدانًا للتأمل الفلسفي والتجربة الشعورية العميقة. فقد اجتاز في شعره عن رؤيته للصداقة الحقيقية، منتقدًا خداع العلاقات ومظهراً خيبة أمله في أصدقاء تنكروا له في أوقات الشدة، ومن خلال خبرته الشخصية ومكانته الفكرية، أبان المرتضى مفهومًا عميقًا للصداقة، يمتزج فيه الصدق، والوفاء، والاختبار الحقيقي في الشدائد والمحن، وفي هذا السياق، نستعرض في هذا البحث ملامح الصداقة والصديق في شعر الشريف المرتضى، من خلال الوقوف على تطلعاته الفكرية، وخبرته الشخصية، وصوره الفنية المعبرة، فمن هذه المقدمة سوف ننطلق بيان كيف فرق الشاعر بين الصديق الوفي عن غيره بتلك المقطوعات الشعرية التي امتزج معناها مع الشعراء الذين سبقوه فاستطاع الشاعر أن يمزج بين الفلسفة والتجربة الحياتية بأسلوبٍ حكيمٍ وواعٍ، عنده عملة نادرة لا يعرف مقامها إلا من ذاق مرارة الخيانة

١-٢. منهج البحث والسؤال الرئيسي.

هو المنهج الوصفي التحليلي متزامناً مع تحليل النصوص الشعرية التي عبَّر الشاعر من خلالها عن تجاربه الحياتية تجاه موضوع الصداقة، مضافًا إلى فك الشفرات الخاصة ببناء العلاقة الحقيقية الصادقة، أو المزيفة الكاذبة، بحثًا عن إجابة لهذا السؤال: كيف وظف الشاعر الصديق في شعره ؟ وما هي الاسس التي اعتمد عليها في اختياره الصديق وبيان اهمية الصداقة ؟.

١-٣. أهمية البحث:

الصداقة كانت ولا تزال موضوعًا إنسانيًا مهمًا، ويظهر شعر الشريف المرتضى عن نظرة النخبة المثقفة في العصر العباسي إلى الصداقة وقيم الوفاء والخذلان والتجربة الإنسانية في العلاقات، ويتيح البحث فهماً أرسخ لطبيعة العلاقات الاجتماعية والفكرية في بيئة الشريف المرتضى الذي كان زاخرًا بالعلماء والفقهاء والأدباء، كما يبرز في شعره تواصل مع الموروث الشعري السابق، من الجاهليين وحتى العصر العباسي، مما يجعل البحث أداة لتتبع تقلبات القيم والمفاهيم عبر الزمن.

١-٤. أهداف البحث:

١- يسهم في تحليل صورة الصداقة والصديق في شعر الشريف المرتضى، والافصاح عن الملامح الموضوعية والوجدانية التي تُعيد رؤيته لهذا الجانب الإنساني.

٢- مراقبة عناصر الموروث الشعري العربي التي استثمرها الشريف المرتضى في شعره عن الصداقة، في الشعر الجاهلي أو الإسلامي أو العباسي السابق له.

٢- المطلب الأول: الصداقة في الشعر العربي

٢-١. الصداقة في اللغة والاصطلاح:

جاءت مفهوم الصداقة من (الصدق)، والصدق نقيض الكذب، فهي من صدق النصيحة والإخاء، والصديق هو المصداق لك، ويقال للواحد والجمع والمؤنث صديق (منظور، ١٩٩٣)، كما أنّ "الصداقة مشتقَّة من الصدق والمودَّة"(ابن فارس، ١٩٧٩م: ٣٣٩) ، فمن خلال هذا المعنى نفهم أن هناك علاقة بين (الصدقة) و(الصداقة).

كما جعلت اللفظة (الصداقة) مرادفة لمعنى (المخالة) و(المحبَّة) بقولهم " الصداقة والمصادقة والمخالّة " (منظور، ١٩٩٣) فالخليل رديف للصديق.

وقد ورد ذكر لفظة (الصديق) ووصفه بـ (الحميم) تقديرًا لمكانته كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ (الشعراء: ١٠٠- ١٠١).

وهكذا نحدد أنّ اللفظة اللغوية للصديق (ص.د. ق) تدور في سياقات المعاجم اللغوية على اختلاف مواردها، حول الصدق وعدم الكذب والقوة والصلابة.

وممّا يجدر ذكره أنَ الأمثال كان لها الشأن الواسع في اختيار الصديق عند العرب وحكمائهم، فقد برزت خبرة متراكمة جاءت عن طريق التجارب والأيام، فهي تعكس صورة نظرتهم للصداقة من خلال تجاربهم، من ذلك قولهم "أجِ الأكفّاء، وداهن الأعداء" (الميداني، د.ت).

٢-٢. الصداقة على ألسنة الشعراء:

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

لا شك إنّ الصداقة تعد من أهم العلاقات الإنسانية، ومن الموضوعات التي لفتت انتباه الإنسان على مر العصور، كما أنّها أساس المودة؛ لأنّها تعكس مشاعر الإنسان الصادقة فهو كائن اجتماعي يؤثر في المجتمع ويتأثر بهم، فهي رابطة إنسانية ترتكز على المحبة والإخلاص والوفاء، وقد عدَّ الصديق كنزًا لا يمكن أنْ يقدَّر بثمن، وتتجلى التراث العربي وغناه بمادة جليَّة في سخاءها عن الصديق والصداقة؛ كونها حاجة إنسانية وأخلاقية لا يمكن الاستغناء عنها، كما حظيت بمكانة سامية في الأدب العربي عبر العصور الأدبية وتناولها الشعراء والكتَّاب بأغراضها المتنوعة، كالفخر والمدح والوصف والعلاقات الإنسانية النبيلة وغيرها...، فعلاقة إنسانية سامية عبَّر فيه الشعراء عن مشاعرهم وآرائهم إزاء الأصدقاء، كما تطور تناول هذا الموضوع وفقًا للسياقات الاجتماعية والثقافية بحسب العصر الذي ينتمي إليه.

بَيْدَ أنَّ الشعراء الجاهلين اهتموا بالصداقة؛ لما كانت تمثله هذه العلاقة من دعم في الحياة القبلية كالوفاء والمروءة والنخوة، فتناولوا هذه القيم في قصائدهم، فعبّروا عن أهمية الصديق في حياة الإنسان، فكان الصديق الوفي جزءً لا يتجزأ من حياة الفرد وهذا ما نجده عند الكثير من شعراء العصر الجاهلي، فيُعتبر من المصادر الغنيَّة التي تُبرّز أهمية الوفاء في علاقات الصداقة ومن مصاديق ذلك ما ورد في شعر(عدي بن زيد العبادي)، هذا المعنى فيقول: [من الطويل] (العبادي، ١٩٦٥)

إذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الرَّدي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي

إذا ما رأيت الشر يبعث أهله وقام جناة الشر بالشر فاقعد

نلحظ انَّ الشاعر اصطحب في شعره من الحكم والارشاد؛ لبيان أثر الصديق فكان الشعر في العصر الإسلامي فيه من المواعظ والعبر خلال تأثر الشعراء بالقيم الإنسانية التي عززت مجموعة من المفاهيم التي اشتملت على موضوعات مهمَّة، كمفاهيم الأخوة، والصداقة المبنية على التقوى والإخلاص فعبَّروا عنها بكل معاني الصدق، كما حذَّروا من غدر الأصحاب وخيانة العهد، وكان الصديق يُقدَّر بناءً على أخلاقه ووفائه بالقيم والعادات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وأقرَّها الإسلام، مضافًا إلى أنَّ من صفاة الصديق أن يكون مسلمًا ديّنًا، وكان من أبرز الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع قول (حسان بن ثابت): [من الوافر] (ثابت، ١٩٩٤)

أَخِـلّاءُ الرَخـاءِ هُـمُ كَثـيرٌ وَلَكِن فـي البَلاءِ هُمُ قَليـلُ

فَلا يَغْرُرْكَ خُلَّةُ مَن تُؤاخي فَما لَكَ عِنـدَ نائبَـةٍ خَليـلُ

سِوى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدينٌ فَذاكَ لِما يَقولُ هُوَ الفَعولُ

تناول الشاعر الصداقة من منظور أخلاقي، فعبَّر عن الأصدقاء الاوفياء، بأنهم يظهرون عند المحن والشدائد.

أمَّا في العصر الأموي فقد شهدت موضوعات من الشعر الاجتماعي ازدهارًا كبيرًا، وكان من تلك الموضوعات الصداقة، فتناولها الشعراء من زوايا مختلفة كالوفاء وبيان أهميته، والإخلاص، والعتاب، والغدر التي انتقدها الشعراء، وغيرها من الموضوعات التي انبثقت من المفاهيم القبلية إلى جانب التعاليم الإسلامية، ليظهروا من خلالها أهمية الصداقة في حياة الإنسان، ومن جملة الشعراء الذين عمدوا إلى توظيف أغراض الشعر المختلفة، لبيان مقام ومنزلة الصديق ما رأيناه في شعر (جرير) الذي تحدَّث عن خذلان الصديق قائلًا: [من الكامل] (حبيب، د.ت)

صيَّدن القلوب بنبل جنٍ ونرمي بعضهنَّ فلا نصيد

بأودٍ والإياد لنا صديـــق نأى عنك الإياد وأين أود

كما استحضر الشاعر في ابياته مشاعر الفقد والخذلان من قبل الصديق وعدم الوفاء لحق الصداقة، فالتباعد الذي حصل بعد صداقة قديمة لم يقدر لها المقابل من ثمن فهي " صورة من صور العلاقات الإنسانية النبيلة، وأفاضوا في الحديث عن الصداقة الحقيقية القائمة على الإخلاص، والصداقة الزائفة التي تنطلق من مصلحة مادية ولا تلبث أن تنكشف الأقنعة، كما حرصوا على التحذير من صديق السوء أو الصداقة الزائفة" (عيسى، ٢٠٠٩)

وازدهر شعر الصداقة في العصر العباسي؛ نتيجةَ المؤثرات الاجتماعية والثقافية والذي تناول العلاقات الإنسانية السامية وكان ذلك نتيجة لمجموعة من العوامل" فقد تعرض المجتمع العربي آنذاك لتغييرات اجتماعية كبرى شهدت ظهور طبقات اجتماعية جديدة أهمها (الموالي و المولدين) التي لعبت دورًا اجتماعيًا هاماً، كما ازداد اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى مما أدّى إلى اتساع العلاقات الاجتماعية وتفتت العصبيات القبيلة (وهبان، ٢٠٢٢)، فأصبحت الصداقة مطلبًا مهمًا ويكون أحيانًا بديلًا عن الروابط القبليَّة، فعبَّر فيها الشعراء عن معانٍ عدَّة منها الاخلاص والوفاء والإشادة بفضلهم، وقد تنوعت نظرة الشعراء ورؤيتهم في العصر العباسي للصداقة، فمنهم من يرى فيها الرؤية المثالية ليشترطوا في أنَّها تتسم بالصدق والمروءة والشهامة والوقوف إلى جانب الصديق في البأساء والضرَّاء، فعبَّروا عنها بصورٍ ومعانٍ مختلفة، فنجد مثلًا أبي العتاهية ينظر إلى الصديق بأنَّه (الصادق الصدوق)، والذي يقف إلى جانب صديقه في المحن والشَّدائد؛ بل يعرض عنه إلى المخاطر لأجل منفعة صديقه من ذلك قوله: [من الكامل] (العتاهية، د.ت)

أَلا إِنَّما الإِخوانُ عِنـدَ الحَقـائِقِ وَلا خَيرَ في وُدِّ الصَديقِ المُماذِقِ

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

لَعَمرُكَ ما شَيءٌ مِنَ العَيشِ كُلِّهِ أَقَرَّ لِعَـــنـي مِن صَديـقٍ مُوافِـقِ
وَكُـلُّ صَديـقٍ لَيسَ فـي اللهِ وُدُّهُ فَإِنّـي بِـهِ فـي وُدِّهِ غَـيـرُ واثِــقِ

فالشاعر يؤكد على أنَّ الصداقة يجب أنْ تكون خالصة لله دون منافع .

ومنهم من نظر إلى الصداقة والصديق نظرة واقعيَّة، فالصديق إنسان يصيب ويخطئ ويصدر عنه ما يسئ لصديقه، فعلى الآخر أن يتغاضى عن عيوب أصدقائه وأن يتعالى عن عتابهم في كل صغيرة وكبيرة، وهذا المعنى نجده عند بشار بن برد الذي يقول:[من الطويل] (برد، ١٩٥٠).

إذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِباً صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه
فَعِش واحِداً أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ مُـفـارِقُ ذَنـبٍ مَـرَّةً وَمُـجـانِـبُـه

وظف الشاعر أساليب النصح والارشاد بعدم معاتبة الصديق ولومه ممّا يورث الأمر إلى القطيعة والهجران ، فالشاعر عبَّر عنها بسياق الرؤية الواقعية، فلا أحد يكون خاليا من العيوب .

وفي موضع أخر، جاءت الأشعار في نظرةٌ ثالثة سلبية متشائمة، فشككوا في الصداقة والصديق الوفي، فهم يرون أنَّ كثيرًا ممن أدَّعوا الصداقة هم أدعياء وغير جديرين بهذه العلاقة الإنسانية، ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الرؤية، فشاعت عند كثير من الناس لما عايشوا به من تجارب محبطة، حتى أنَّ أحدهم ما يروى عنه أنَّه اعتزل الخاصَّة والعامَّة ولزم قعر بيته ورفض المجالس ليقول: " لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنبًا، ولا ستروا لي عيبًا، ولا حفظوا لي غيبًا، ولا أقالوا لي عثرة، ولا رحموا لي عبرة، ولا قبلوا مني عذرة، ولا فكّوني من أسْرة، ولا جبروا مني كسرة، ولا بذلوا لي نصرة، ورأيت الشغل بهم تطبيعًا للحياة وتباعدًا من الله" (التوحيدي، ٢٠٠٧)، من ذلك ما صوره (صالح بن عبد القدوس) (المعتز، د.ت) لصداقة زائفة ويحذر من المراوغة ويجب تجنَّبه يقول: [من الكامل](عبد القدوس، ١٩٦٧م: ١٢٥)

وَإِذَا الصَّدِيقُ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقاً فَهُوَ العَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ
لا خَيْرَ فِي وُدِّ امرِئٍ مُتَمَلِّقٍ حُلْوِ اللسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ

المطلب الثاني: الصداقة في شعر الشريف المرتضى ومعانيها:

٢-٣. سيرة الشريف المرتضى .

الشريف المرتضى هو علم الهدى، ذو المجدين ،أبو القاسم ،علي بن أبي أحمد الحسين الطاهر بن موسى بن محمد " الأعرج" بن موسى " الأبرش" ابن أبي سُبحَة بن إبراهيم الأصغر المعروف بالمرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي ابن الإمام الحُسين ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) (النجاشي، ١٤٠٧) ، والده: الشريف أبو أحمد الحسين الملقب "بالطاهر الأوحد ذي المناقب" (مرتضى، ١٩٧١)، فضلاً عن أنه علوي النسب، هاشمي الأرومة ،فهو منحدرٌ من هذه السلسلة؛ فكان نقيبُ الطالبيينَ، وعالمُهم ،وزعيمُهم، ونظراً لعظيم همّته ،وجليل بركته؛ فقد جمعت إليه الرياسة والزعامة، فكان بطل حرب وسياسة، فضلاً عن زعامة قومه ونفوذ علمه (مرتضى، ١٩٧١).

ولد الشاعر في بغداد في محلة (باب المحول) في الجانب الغربي من الكرخ في شهر رجب من سنة خمسٍ وخمسين وثلاثِ مئةٍ للهجرة أيام خلافة المطيع العباسي، وفي هذه الأسرة الرفيعة والجو العلمي نشأ وشب (علياً)، وشاء الله أنْ يكون هو وأخوه (محمدٌ) عمودين شامخين من أعمدة الإسلام ،وأستاذين بارزين بما تمتعا به من قابلياتٍ وقدراتٍ قدما من خلالها من فنون العلم والأدب للأمة الإسلامية الشيء الكثير كما اعتادت أسرة الشريف على " استقبال رجال الدولة والقواد والفرسان والأدباء والشعراء ،زائرين أو متوددين ،وقد تتلاقى عنها شتى الأجناس من عرب وترك وديلم " (مرتضى، ١٩٩٧) فكانت داره دارَ علمٍ وثقافةٍ وأدبٍ ،وفي شتّى أمور الثقافة آنذاك.

كما عاش في ظل هيمنة البويهيين على مقاليد الحكم في بغداد " فقد استمر حكم البويهيين على العراق وبلاد فارس من سنة ٢٣٠هـ إلى دخول السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ " (المعتوق، ٢٠٠٨)ففي هذه الحقبة الزمنية كانت مقاليد الحكم بيد البويهيين ،وظلَّ الخليفة العباسي لا يمتلك من السلطة في بغداد سوى المظهر العام لها، تتلمذه على عدد كبير من المشايخ، وفي مختلف العلوم ،لا سيما إلى أنَّه كان ملازماً للعديد من العلماء آنذاك وهذه الملازمة جعلت منه موسوعياً في شتى العلوم والمعارف، فأخذ عنهم الرواية والحديث، فضلًا عن تركه أيضاً بصماته على نتاجه الأدبي، لا سيما الشعري منه ، فقد ظلَّ مرآةً عاكسةً لظروف الحياة التي عاشها الشاعر، وتعلقه النبيل في الموروث الثقافي الذي نشأ في ظله، فكانت صورةً واضحةً لذلك الأثر الثقافي في نتاجه، فهذه العواملُ والظروفُ التي اجتمعت كونتْ شخصيته وحددت مسارها ربما لا تجتمع لغيره.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

للسيّد المرتضى كتب ومؤلفات قيّمة اختلفَ المؤرخون وأربابُ السيرةِ الذين ترجموا له في إحصائها ، فقد ذكروا عدداً كبيراً منها وأكدوا على أنها تزيد على مائة كتاب ، فضلاً عن ديوانه الشعري الذي بلغت عدد أبياته ما يقارب من عشرين ألف بيتٍ، إضافة إلى مؤلفاته ما تقارب أيضاً من عشرات الدراسات والرسائل في موضوعات علمية وأدبية مختلفة (آشوب، ١٩٦١).

بعد عمر حافل في خدمة الدين والعقيدة والأدب تُوفي الشريف المرتضى - (رضوان الله عليه) في مدينة بغداد من يوم السبت لخمس بقين من جمادى الأولى لسنة ست وثلاثين وأربعمئة عن عمرٍ يناهز السبع والتسعين سنة (الشيرازي، ١٩٦٢) ، ودُفِنَ في داره أولاً، بعدها نقل جثمانه إلى جوار مرقد جدّه الإمام الحسين (عليه السلام) ودفن في مشهده المقدس مع أبيه وأخيه؛ وقبورهم ظاهرة ومشهودة وهذا الأمر مختلفٌ فيه (مرتضى، ١٩٩٧)، بعد أنْ أسدى إلى الحركة العلمية في عصره خدمات جلى من خلال مؤلفاته التي تدلُّ الباحث على خصب قريحة هذا المفكر المبدع وإلهامه لشتّى فروع العلم والمعرفة.

٢-٤. معاني الصداقة في شعر المرتضى

يعدُّ الشريف المرتضى من كبار شعراء العصر العباسي، وإلى جانب الموضوعات الشعرية التي تناولها (الصداقة)، فكانت لها مكانة خاصة في شعره، فعبَّر عن قيم الإخلاص والوفاء، مؤكدًا من خلالها على أهميته في حياة الإنسان، فقد جسَّد في شعره موضوع الصداقة من خلال رؤية عميقة لمعانيها، مؤكدًا من خلالها على مجموعة من القيم كالوفاء والتضحية ...الخ، مضافًا إلى إيجاد المبرر لأثبات دور الصديق في تقديم المشورة والمعونة، وقد تتعدى الروابط بين الأصدقاء إلى أن تتجاوز روابط القرابة معززًا بنائها على أسس التفاهم والاحترام المتبادل والتفاهم، وقد تناول الشاعر هذا الموضوع بأسلوب تمكن من خلاله أن يعكس ثقافته ومكانته الاجتماعية ومن ملامح الصداقة في شعره سوف نشير اهم الموضوعات التي وردت في شعره وهي :

٣-٢-١. الوفاء والتضحية للصديق:

ظهر الشاعر هذه العلاقة الاجتماعية والعلاقة التي تجمعها مع قيمة الوفاء بها، فرسم لنا صورة الصديق الحقيقي الذي يقف إلى جانب صديقة في الشدائد والمحن، فمن خلال تجربته أكَّد فيها على أهمية الثبات في المودة بين الصديقين وعدم التخلي عن الصديق، فتكون النظرة إليه نظرة مثالية إذ استمد هذه الصورة من الشعراء الذين سبقوه من ذلك قوله: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

أَيا صاحِبي إنْ لم تكنْ في شديدتي ... كفيلاً بها دوني فلستَ بصاحـبـي

ولو لـم تكنْ خير الأُلى عَجَمَتْهُمُ ... بَنـانِـيَ لـم أضمُمْ عليك رواجبـي

أجِـرْنِـيَ إمّـا بالـقـواضـب والـقـنـا ... أو الرّأْي إنْ خَطْبٌ أناخ بجانـبـي

نلحظ إنَّ الشاعر يخاطب في مقطوعته الشعرية الصديق، فضمن فيها مجموعة من النصائح التي بيّنها، بعد أنْ عمد إلى البدء بأداة النداء(أيا) فهي: " تارة تكون ظاهرة وأخرى مضمرة، وهذا ليس أمرًا اعتباطيًا بل هو علامة تكريس إيحاء القرب في المخاطبة، ويؤسس بعدًا إشاريًا لإيحاء الاطمئنان" (زمان، ٢٠٢٣)، فهو لا يعدُّ الصديق صديقًا إنْ لم يدافع عنه في المصائب.

كما أنَّه يدّخر الصديق للنائبات ليصف الصديق الصدوق بالملاذ لكل مصيبة فيقول: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

ذَخـرتـك لـي فـي النّائباتِ ومنْ يكنْ ... صديقاً صدوقاً فهْوَ ذُخرُ النّوائـبِ

ثمَّ يؤكد الشاعر في وجوب الدفاع عن الصديق؛ لأنّه يَعُد من أقاربه بعد طول فترة الوداد، لذا يطلب منه حمايته إما بالسيوف أو بالرأي السديد في حال داهمه أيُ خطر ليقول: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

ومـا ضـرّ والقربُ المؤلّـفُ بيـنـنـا ... ودادٌ لـنـا أنْ لـم تـكـنْ من أقاربـي

ومن مضامين الوفاء التي عرضها الشاعر في الصديق، بأنْ يصفه كالنبراس في الحياة إنْ أظلمها بعضهم، وأصدَقَني إنْ لم يصّدقه الزمان، لذا يطلب منه المساعدة؛ ليجيره من مفاجآت الأقدار فيقول في هذا المعنى: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

وكـنْ قَـبَـسِـي إنْ كان قومٌ دياجِـري ... وكنْ صادقي إنْ كان دهرِيَ كاذِبـي

وَقُـمْ وَاكـفِـنِـي إن كـنتَ تَسطيع هذِهِ ... حـلـولِـيَ مـغـلـوباً بـوادِي العجـائـبِ

أكَّدَ الشاعر في أبياته على عمق العلاقة التي تربط الصديقين، فهما اللذان يتكرر فيهما الواحد على الأخر في مواجهة المصائب والشدائد. وفي موضع آخر، تجلَّت معاني الوفاء في أنَّ الشاعر يتذكر أيام صداقته وأنَّه لم يتأسف على صحبتهم خلال تلك المدَّة يقول: [من مجزوء الرمل] (مرتضى، ١٩٩٧)

أنـــا صِـــفْـــرٌ مِـــن أخـــلا ... ئـــي ومـــا كـــنـــت مَـــلـــولا

فـمـتـى يـسـمـحُ لـي الـدهـ ... ـرُ وقـد كـانَ بـخـيـلا؟

بـخـلـيـلٍ جُـبـتُ فـي تـحْـ ... ـصـيـلـهِ البُعـدَ الطـويـلا

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

رسم لنا الشاعر صورة واضحة المعالم، فهو يتألم لغيبته حتى كأنَّه يصعب عليه الوفاء بصديق مثله بعد أن جاء البلاد بحثًا عنه. ومن المضامين الرؤيا المثالية والتضحيَّة التي أفادها الشاعر في قصائده ما ضمنَّه في مقطوعته التي نظّمها في أحد أصدقائه يقول: [من السريع] (مرتضى، ١٩٩٧)

مَن لي بمن إنْ سُمته حاجةً شمّر فيها فَضْلَ أذيالِهِ
فيبذل النّفسَ ولا يرتضي في لَزَباتي بَذْلَ أموالِهِ
وحاملٍ ثِقْلي على ظهرِهِ كأنّه من بعض أثقالِهِ
لو غدر النّاسُ به كلُّهمْ ما خطر الغدرُ على بالِهِ

هو ذلك المرء الذي إنْ رجاه في أمرٍ نفذ رجاءه وأسدى له معروفًا، ليبذل قصارى جهده في الحفاظ على صديقه، فلا يكتفي ببذل ماله عند حاجته إليه؛ بل يتعدى ذلك إلى الاهتمام بمشاكله حتى وكأنها جزءٌ من مسؤوليته:" فالمشاركة بين الأصدقاء من أقوى مدخلات الفرح والاطمئنان، فهي دليل على المحبة والاطمئنان سواء أكانت في الأمور المادية أم المعنوية" (زمان، ٢٠٢٣)، فالمقطوعة غنية بالأرهاصات كالجمل التي تحمل معاني الصداقة والمشاركة بينهما والدفاع عن الصديق وتعزيز روح الصداقة.

ثم يتعرض ويضيف شروطًا أخرى إلى الصداقة بقوله: : [من السريع] (مرتضى، ١٩٩٧)

وربّما أعرضتُ عنه فلا أعدَمُ منه فضلَ إقبالِهِ
ما عثرتْ رِجلُ امرئٍ مُنفِضٍ أغنتهُ كفّاهُ بإذلالِهِ
ولا رأته عينُ ذي زلّةٍ أبدَلَ إفحاشاً بإجمالِهِ

فالصديق الوفي له حضورٌ في الذهن، لوفائه لهم وعدم الغياب عن الذاكرة، فالصديق وإنْ غفل عن صديقه حينًا من الزمن لم يُحرم الاهتمام؛ بل يسارع إلى نجدته إن وقع هو في مأزق، فلا تسمع منه الكلام الفاحش، فأوضح الشاعر أنَّ هذه الصفات والمميزات تجعل من الصداقة قوية ومستدامة ومبنية على الثقة والاحترام المتبادل.

ومن أبواب الوفاء للصديق قوله في قصيدة القاها بعد فراق صديقه: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

فمن مبلغٌ عنّي ابنَ عوفٍ رسالةً كما شاءت الأشواقُ منّي الدّواخلُ
بعدنا جسوماً والقلوبُ قريبةٌ فلا العهدُ منسيٌّ ولا الودّ حائلُ
وكم ذا لنا والهجرُ ملتبسٌ بنا نلاقي ضميراً والهوى متواصلُ
فإنْ سكتتْ منّا شفاةٌ على قذىً فمن دونها منّا قلوبٌ قواتلُ

عند التأمل في أبيات الشاعر نجد أنَّه استعمل أسلوب الاستفهام؛ لبيان حجم الاشتياق ودلالته التي تكتنز في قلبه، والتعبير من القلب يُعد من أصدق المشاعر التي يعبر فيها الشاعر من خلالها على عمق العلاقة بينهما، فدلالة الارتباط القوية لا تتأثر بالزمان وبعد المسافة، فهو يخاطب شخصًا في محاولة إيصال رسالته لصديقه الذي فارقه منذ مدّة والذي امتلأ قلبه شوقًا إليه، فعلى الرغم من ابتعاد جسومنا ولكن أرواحنا تلتقي على الرغم من بعد المسافة التي تفصل بيننا، فإن طال الفراق فقلوبنا وضمائرنا تنبض بالحب، وإن لم نتحدث بأفواهنا فقلوبنا تنطق بعنفها، فالشاعر عبَّر بصورة حقيقية ومشاعر صادقة التي أوضح فيها عمق العلاقة والارتباط الروحي بينهما، فالصديق الحقيقي لا تتأثر علاقته بصديقه على الرغم من بعد المسافة، بل تبقى راسخة، فالمسافات لا تفرق الاجساد، ولا تمحو الذكريات، ولا تضعف الروابط، وهذا ما يدل على تمكن الشاعر في لغته، وقوة عاطفته.

٣-٢-٢. عتاب الصديق .

يُعد أسلوب العتب من الفنون الشعرية التي عرفت عبر العصور التي مرّ بها الشعر العربي، إلا أنَّه لم يكن فنًا مستقلًا وقائمًا بذاته – إلا بداية العصر العباسي، كما أنّ العتاب تنوع عبر العصور، ففي العصر الجاهلي كان العتاب بين العشاق، ثم دخل في فن الغزل، إلى عتاب الأصدقاء والأهل الأقارب وغيرها ..الخ، شريف المرتضى من الشعراء الذين أخذ هذا الفن نصيبًا في شعره، فكانت نظرته دليلًا للمحبة والمودة، وتركه ذهاب للمودة وكمال يقال: " من لم يعاتب على الزلة فليس بحافظ الخلة" (المقدسي، ١٩٩٣)، كما أنَّ الشاعر كان شاعرًا حساسًا وصاحب لغة راقية ومتمكنًا من التعبير عن العتاب، لاسيما عندما يتعلق الآمر بالأصدقاء، ومن خلال استقراء أبياته نجد أن عتابه كان يحمل طابع الحزن النبيل والحرص على بقاء المودة والألفة على الرغم من عتابه له، ولكنه في نفس الوقت يوجه للأصدقاء أشد عبارات العتاب، ويشتد عتاب الشاعر وحسرته ليقول:[من الخفيف] (مرتضى، ١٩٩٧)

وإذا سمتُهُ نهوضاً بثِقْلٍ خانني منه عودُهُ الخَوّارُ

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

فعفاءٌ على وداد أُناسٍ هو ما بينهمْ غبارٌ مُثارُ

ثم بيَّن الشاعر جفائه ولومه إليه؛ ليؤكد أنَّ رجائه له في إنجاز أمر اثّاقل في تنفيذه وتهاون، فالشاعر يتحسَّر على هذه الصداقة ويوجه له أشد عبارات العتاب واللّوم، فهي مجرد ليست إلا غبار متطاير بينهم. وفي موضع آخر يرسم الشاعر صورة أخرى من صور عتاب الأصدقاء فيقول:[من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

إذا أنتُمُ لَم تَشفَعوا في قباحةٍ ولم تشفعوا في خائفٍ بأمانِ

فَما أَنتُمُ إلّا سَرابٌ بِقِيعَةٍ يضلّلُ رَأْيي أوْ يغرّ عِياني

هنا نلحظ أنَّ الشاعر قد أبدع في عرض صورة العتاب ومحور قضيته من الوهلة الأولى وفي مطلع قصيدته، فصورة العتاب قاسية من خلال تجريد أصدقائه من كل معاني المودة والألفة، ليفتتح أبياته بأداة الشرط (إذا) فالنتيجة حتمًا ستكون غير مرضية، فكأنَّه أراد أن يقول إذا كنتم لا تغفرون ذنب امرئ، ولم تخففوا عن من قصدكم، فأنتم ليس إلا سراب في سهل يتوهم الناظر إليه ويضلل فكره وانتباهه، ليسلب منهم الشاعر كل معاني الخير والمساندة والمساعدة ونصرة الصديق والوقوف بجنبه [من البسيط] (مرتضى، ١٩٩٧)

وجدْتُكمُ لَم تَصلحوا لِرَخائِنا ولا لِزمانِ البُؤْسِ والحَدَثانِ

وما أنتُمُ أهلٌ لودِّ قلوبنا ولكنّ للبغضاءِ والشّنآنِ

فالشاعر لا يجد فيهم خيرًا أبدًا، ولا يرجوا منهم خيرًا في مساندته لإيامٍ قد خلعت عليهم الحزن والبلاء، فهو ينفي صفة الود بينهم، ويسجّل غضبه وسخطه عليهم؛ لأنَّه لا يرجوا من أصدقائه خيرًا عامدًا إلى توظيف أشد عبارات العتاب واللوم عليهم، وهذا ما أراده إيصاله إليهم ليعطي إلى المتلقي دروسًا وتجاربًا، فعتابه مشوب بالحسرة والألم، نتيجة ما يكبت في نفسه من خذلان الأصدقاء له.

وفي موضع أخر ايضاً، فضل الشاعر العزلة على الصديق المنافق ومن تلك الابيات قوله أيضًا: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

أقمْ واحداً فرداً ودعْ عنك مرّةً نفاقَ فلانٍ أوْ خِداعَ فلانِ

فكَم عشتُ مقروناً بقومٍ صحبتُهمْ ولكنّني لم أنتفعْ بقِرانِ

أذمُّ زماني فيهمُ ومِن أجلِهم وما الذّنبُ لو أنصفتُ ذنب زماني

فإنْ أنتَ أنكرتَ المعاريضَ وَانتَهَتْ إليك مَغازٍ بينها ومعانِ

تطالعنا الأبيات الشعرية المكتنزة بالثقافة القرآنية للشاعر فقد علمنا أنَّ شاعرنا كان يوجه نصيحته من خلال تجربته في العيش وحيدًا والابتعاد عن نفاق الناس والخداع والمكر الذي يمارسونه، فكثير من الناس قضوا أعمارًا ولم يُنتفع بهم، ونتيجة لهذه وبسببهم وجه الشاعر عتابه ولعنته على الزمان من عدم انصافه فلو كان منصفًا لما أتاح لهم الفرصة أن يلتقي بتلك الصحبة الصالحة والبارة ، ومن جانب آخر عاتب الشاعر نفسه في غفلته عن التمحيص في قبل اختيارهم، وجاء هذا بصياغته لغوية تنسجم والمقام.

وأشار في موضعٍ آخر[من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧):

رابَني في اِختيارِ مثلك عقلي وأَرَتْني المحالَ عيأني وأُذني

وظننتُ الجميلَ ثمّ تأمَّلْ تُ فأكْدى حَدسي وأخفَقَ ظَنّي

ولو أنّي لمّا شريتُك جرّبْ تك قبل الشّراءِ ما بان غَبْني

كَيفَ ضَيّعتَني وقد كنتَ بي فَوْ قَ محلِّ السِّماكِ لو لم تُضِعني

فإذا هِجتَني فقد وَدّ منّ قب لك مَن ودّ أنّه لم يَهِجْني

أنا في كلّ ساعةٍ بين أمْرَيْ نِ فُمبْكٍ عيني ومضحكِ سِنّي

أشار الشاعر في نصه الشعري إلى معنى آخر من معاني العتاب، فقد أوضح بأنَّ عقله نبَّههُ في اختياره لصديقه، وبرهن بحاستي عينه وأذنه على استحالة تصديق كلاهما، ليعبّر في صدق احساسه في بادئ الآمر وبعدها تحول إلى غيبة أمل، فعتاب الشاعر جاء بحرقة وألم جراء ما المَّ به من جراح الأصدقاء، فكان الشاعر يعتبر صديقه بنزلة النجم الذي يرفع رأسه لينظر إليه من علو شأنه ومنزلته، مستعملًا كل معاني الأسى والحزن والعتاب والندم على قضاء حقبة زمنية مع صديق لا يستحق، ليتمنى الشاعر من العيش بعزلة والانفراد والابتعاد عن ويلاتهم. وفي العتاب يقول أيضًا: [من الوافر] (مرتضى، ١٩٩٧)

ألا ليت شعري عن صديقٍ تكدَّر لي ، لِمَنْ بعدي يِّصافي

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

وكـــيـــف تُفيـــدهُ الأيـــام مثـــلـــي ومـــا يـــكفـــي مـــكـــاني اليـــومَ كـافِ

ومن أمثلته الثقافية والاجتماعية في عتاب الصديق قوله:[من الخفيف] (مرتضى، ١٩٩٧)

رابَني في اِختيارِ مثلك عـقلي وأَرَتْـنـــي المحـالَ عيـني وأُذنـي

وظـننـتُ الجمـــيـلَ ثـمّ تـأَمَّـلْـتُ فـأكْـدى حَـدسـي وأخـفَـقَ ظَـنّـــي

اتّسم عتاب الشاعر في قصيدته بالقسوة والشدَّة، وربما هو أقرب للهجاء منه للعتاب، فيشير إلى عقلي قد نبهني على اختيارك صاحبًا، وقد ثبت من خلال عيني وأذني على استحالة صدقك، فكل حدسي وظني بصداقتك في بادئ الأمر فشل.

وفي عتاب أخر للشاعر نفسه في اختيار صديق غير صالحٍ يقول: :[من الخفيف] (مرتضى، ١٩٩٧)

ولـو أنّـي لـمـّا شريُـتـك جـــرّبْ تك قـبـل الشّراءِ مـا بـان غَـبْـنِـي

كَيفَ ضَيّعتَنِي وقد كنتَ بي فَوْ قَ محـلِّ السِّمـاك لـو لـم تُضِعنِي

نلاحظ أنَّ شاعرنا استعمل حرف الشرط (لو) لدلالة على الامتناع في غير الإمكان، فلو أنني جربتك قبل شراء صداقتك لما وقت في هذه الخسارة للدلالة على شدَّة الحسرة واللوم، فلولا فقدان صداقتك لكان مقامك عندي واحدًا من نجمين في السماء في علو شأنك ومقامك وفي هذا المعنى

وفي ذم الصديق يقول الشاعر: [من الخفيف] (مرتضى، ١٩٩٧)

ليت أنّا لا نعرف القومَ فيهمْ حَـيـدّ عـن ودادنا وازورارُ

وَلَبِئس الصّديقُ هبّ نسيماً بـمـقـالٍ وبالحُـشـاشـةِ نـارُ

وإذا سـمـتُـهُ نـهـوضـاً بـثِـقْلٍ خانـنِـي منـه عـودُهُ الخَـوّارُ

فـعـفـاءٌ عـلـى وداد أُنـاسٍ هـــو مـا بـيـنـهـمْ غـبـارٌ مُـثارُ

استعرض الشاعر مقطوعته بحرف التمني(ليت) فهو يشير إلى تمني عدم معرفته بأصحاب منحرفون وغير صادقين بودّهم، ثم عمد إلى توظيف فعل الذم (بئس) والذي يومي الشاعر به إلى ذم الصديق الذي يلتهب نارًا ضدي ويؤذيني بكلامه، والذي يتثاقل ويتهاون إن رجوته لأمرٍ ما، فهو يتحسر على هذه الصداقة التي هي مجرد غبار متطاير لا يمسكها أي نوع من تبادل الثقة.

ومن جانب عتاب الصديق ومن المقربين لديه، أبان في بعض أبياته إلى عتابه وحزنه إلى صديق مقرَّب منه وتجمعهما مودَّة وعهد وعلاقة اجتماعية ليخاطبه الشاعر قائلًا: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

رَأَيتكَ لا تَرعى حُقوقي ولم تُصغْ إلى القول منّي حيثما أنا ناصحُ

فجهرُك لي مُرْضٍ وسرُّك مُسخِطٌ ووجـهـك بـسّـامٌ وقـلـبـك كـالـحُ

ووُدُّكَ لـي إمّـا سـرابٌ بِـقـيـعَـةٍ وإلّا فـبـرقٌ خُـلَّـبُ الـوَمْـضِ لائـحُ

وإلّا هشـيـمٌ فـي فـضـاءٍ تـكـدُّهُ محـكّـمَـةٌ فـيـه الرّيـــاحُ الـبـــوارحُ

وَمـا لـــيَ مـنـكَ الـيـومَ إلّا أَظافـرٌ جِـدادٌ وأنـيـابٌ بـجـلـدِي جـوارحُ

تُمزّقـنـي عَـمْـداً كـأنّـكَ مـخـطئ وَتـقـذِفـنـي جِـدّاً كأنّـكَ مـازحُ

يبدو خيبة الأمل واضحة في أبيات القصيدة من سوء الصداقة، وهي من الموروثات الاجتماعية المألوفة عن خيانة العهد وقصر الوفاء، وكأن الشاعر يشتكي ويعاتب في حين أن المقابل لا يكثر بحديثه وعتابه، فالشاعر يشعر بالخذلان والانكسار وأنَّ عتابه بلا أملٍ يرجى، فهو إشارة غلى خذلان ومرارة التجاهل.

٣-٣-٣. فراق الصديق.

يعد الفراق والرحيل من الموضوعات التي كانت شائعة في الشعر العربي على مر العصور بحق الصديق، فقد عبَّر فيه الشعراء عن مشاعر الحزن و الأسى لفراق أصدقائهم، فتارة يكون الفراق دائمًا برحيله وفقدان الصحبة الطيبة بسبب موته، وتارة أخرى يكون الفراق مؤقتًا كسفره أو تقلبات الزمان، وكلا الأمرين كانا يشكلان مصدراً أليماً في قلب الشاعر؛ لكون الصديق كان يمثل العون والسند في مواجهة تحيات الزمان ومصائب الحياة.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

وكان من بينهم شاعرنا الشريف المرتضى الذي استمدَّ هذه الشيمة ممن سبقوه وقد كان شعره زاخرًا بأبيات الحزن والاسى، فجسَّد هذه المعاني والصور بأسلوبٍ بليغٍ ومؤثرٍ فجعل من الفراق تجربة وجدانية تحاكي القلوب لترسم لها أثرًا في النفوس، من ذلك قوله في قصيدةٍ في فراق صديقٍ له: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

وما راعني إلا فراقُك بغتةً ... وقلبي مملوءٌ لوصلك بالبر

وكنتُ وقد عّريتُ منك كمُدلِجٍ ... تَعرَّى على الظلماءِ من طلعةِ البدر

ولم أدرِ ما في يومِنا غير أنَّنا ... قُطِعْنا بقَطْرٍ لا يدومُ عن القَطرِ

استعرض الشاعر في مقطوعته ما ألمَّ به من حزن تجاه فراق صديقٍ له، وخاصة إذا كان الفراق مفاجئ في حين أن قلبه يأمل بوصاله، ثم يعبر عن مدى حرمانه منه؛ له ليرسم منها صورة السائر الذي يسير في الليلة من دون إضاءة القمر، ويستحضر الشاعر خيره لذي تنعم به في خيرٍ قليلٍ من كثير.

ومن جانب آخر، في شعر فراق الأصدقاء ورثائهم نجد الشاعر كان له النصيب الأوفر في هذا المجال، فنجد الشاعر قد عبَّر عن ألمه وحزنه العميق فيقول في هذا الجانب:[من البسيط] (مرتضى، ١٩٩٧)

كَم ذا تَطيشُ سِهامُ الموتِ مُخطئةً ... نحري وتُصمي أَخلّاني وأخداني

ولو فطنْتُ وقد أردَى الزّمانُ فتىً ... عَلِمتُ أنّ الّذي أصماه أصماني

يشير الشاعر إلى صور من صور البلاغة التي تشير إلى الموت المفاجئ موظفًا لفظة (سهام الموت) والتي تصيب الإنسان بلا قُدرة على الإفلات منها وتجنب الموت، وهذه السهام قد أصابت أحبابه وأصدقائه ويخطئني فالشاعر يفدي نفسه له، ويستمر الشاعر في عتبه على الزمان الذي بيَّن الشاعر أنّما قتله عندما أصاب صاحبه.

ثم يصف الشاعر صديقه بالروح التي في الجسد، فالموت المتعطش إلى الأرواح يداعب ما تبقى منها إشارة منه إلى صديقه فيقول:[من البسيط] (مرتضى، ١٩٩٧)

وكيف تبقى حُشاشاتٌ تقلّبها ... في كلّ يومٍ يدا غَرْثانَ ظمآنِ

أَم كيفَ نَأمل أَنْ يَبقى اِمروٌ أبداً ... يفدي من الموتِ إنساناً بإنسانِ

وهل يظل إنسان حيّا يفدي الناس من الموت، فيما يفتدى الشاعر صديقه .

ينتقل الشاعر إلى وصف الأيام التي تبدّل لونها، فتارة تكون حزينة وأخرى سعيدة بعد فقده لصديقه والنتيجة أنَّها غيرت مجرى حياته، كما يضع لومه وحزنه على الدهر الظالم الذي تحكم بهم فلم يبق شيخًا كبيرًا أو فتىً، ليصف ذلك الموقف بقوله:[من البسيط] (مرتضى، ١٩٩٧)

سودٌ وبيضٌ من الأيّامِ لونُهما ... لا يستحيلُ وقد بدّلْنَ ألواني

هيهاتَ حُكِّمَ فينا أزْلَمٌ جَذَعٌ ... يُفنِي الورى بين جُذعانٍ وقُرحانِ

كما يخاطب الشاعر الموت بأنه لم يبقَ له صديقًا، فقد عبَّر عن مرارة الفقد بـ (الخطبان) أي الحنظل لشدَّة مرارته، فيقدم العسل ممزوج به، فالأيام والليالي لم تحفظ لنا جديدًا، فتارة تمنح وأخرى تمنع، لقول في ذلك:[من البسيط] (مرتضى، ١٩٩٧)

فَلا حميمٌ لنا يُبقي الحِمامُ به ... ولا جَديدٌ لنا يُبقي الجديدانِ

يُعطي العطيّةَ تتلوها رَزِيَّتُها ... ويُطعِمُ الشّهْدَ ممزوجاً بخُطْبانِ

وفي موضعٍ آخر، فعبَّر الشاعر عن فراق الصديق بأسلوب مؤثر، معبرًا عن ذلك بمشاعر الحزن والاشتياق، فلا ينسى تلك الأيام والعلاقة التي بينهما فيقول في ذلك : [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

بعدنا جسوماً والقلوبُ قريبةٌ ... فلا العهدُ منسيٌّ ولا الودّ حائلُ

وكم ذا لنا والهجرُ ملتبسٌ بنا ... نلاقي ضميراً والهوى متواصلُ

فإنْ سكتتْ منّا شفاهٌ على قذىً ... فمن دونها منّا قلوبٌ قواتلُ

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

أراد الشاعر يوضح ذلك بقوله: على الرغم من ابتعاد جسومنا ولكن أرواحنا باقية وتلتقي على بعد الفراق والمسافة، فقلوبنا وضمائرنا تنبض بالحياة والحب على الرغم من بعد الفراق، فقلوبنا تتكلم دون أفواهنا. وفي موضع أخر يذكر الشاعر الم الفراق بقوله أيضًا: [من الطويل] (مرتضى، ١٩٩٧)

تـسلّ فأيّامُ الفـــراقِ كثيـــرةٌ لمُـحْـصٍ وأيّامُ التّلاقـي قـلائـلُ
وقد أسلفتنا الحادثاتُ لياليـاً ذهـبن فأيـــن الآتياتُ القـوابـلُ
فلستُ بناسٍ ما حييتُ اِجتماعنا وقـــد نتجتْ فينا السّنون الحوائلُ
تـمرّ بنـا الأيّـامُ وهْـيَ قصـائـرٌ وتمضي لنا الأوقاتُ وهْيَ أصائِلُ
وإنّي لأرجو أن تعود وإنْ مضى على فقدها ذاك المدى المتطاولُ

صوّر لنا الشاعر هنا أيام الفراق فكانت طويلة، وأيام اللقاء قليلة، فالشاعر يتساءل عن الأيام التي تجمع الشمل وكأنها ذهبت كما يتوعد الشاعر بعدم نسيانها فما أسرعها من أيام تحمل لحظات السرور قد انقضت بين الأصدقاء، فالشاعر يتمنى من عودة تلك الأيام التي جمعته مع صديقه الذي يحبه بعد انصرامها.

الخاتمة:

بعد محاولة استقراء شعر الشريف المرتضى ورصد موروثه الاجتماعي، فقد توصلنا إلى أهم النتائج التي تجلت فيها ملامح هذا الموروث، ويمكن الإشارة إليه كما يلي:

- كشفت العلاقات الاجتماعية في شعره عن رؤية أخلاقية وإنسانية لعلاقته مع الآخرين، فكان للصديق حيزٌ كبيرٌ في شعره، قد تناولها من منظور واقعي، عكس من خلالها ما وجده من غدر الأصدقاء في مجتمع تغلب عليه المصلحة والتغلب، ومرة أخرى يصوّر الصداقة الحقيقية النادرة الوجود والتي تتضح حقيقتها وقت الشدَّة .
- ينتقد الشاعر الصديق الذي بنى علاقته من أجل المال والمصلحة، وفي مرحلة أخرى يحذر الشاعر من الصديق والحذر الشديد في الاختيار، فهي تجربة شعرية غنية بالحكمة والنقد الرصين، وقد أفاضت الدراسة التحليلية إلى حصيلة من النتائج التي تسلط الضوء فيها على.

- استند الشاعر إلى إرث عربي غني من خلال تأثره بالبنية الأسلوبية والمعجمية التي كانت سائدة في العصور التي سبقته، وهذا ما أضفى على شعره الطابع الكلاسيكي الأصيل.
- تضمنت أغلب قصائده بحكم ومواعظ استمدها من تجربته التقليدية الثقافية التي غلب عليها الطابع التأملي، يضاف اليها استهدافه لترسيخ معايير اختيار الصديق، والتنبه إلى زيف المظاهر والتي استمدها من موروثه الادبي ..... كما نلاحظ ان شعره وظفه لخدمة المجتمع واصلاحه، فليس لأجل متعة شعرية تخلو من المعنى فحسب بل لتقويم المجتمع.
- لم يكن شعره مجرد غرضًا شعريًا يعبر من خلاله عن مشاعره؛ بل وسيلة لتقويم السلوك الفردي في المجتمع، مما يظهر رسالته الأدبية.
- كما يحذر الشاعر من اختيار الصديق السيء، وهذه تعد تجربة شعرية مفعمة بالحكمة والارشاد والنقد البناء للمعرفة كيفية اختيار الصديق والاسس التي يحب ان يتبعها.

فهرست المصادر والمراجع

- ابن ثابت، حسان بن المنذر. (١٩٩٤). ديوان حسان بن ثابت (ط. ٢، شرح وتعليق: عبد أ. مهنا). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن المعتز، عبد الله بن محمد. (د.ت). طبقات الشعراء (تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، ط. ٣). دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٣). لسان العرب (ط. ٣). دار صادر، بيروت، لبنان.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام هارون). دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ابن حبيب، محمد. (د.ت). ديوان جرير (تحقيق: نعمان محمد أمين طه، ط. ٣). دار المعارف، القاهرة، مصر.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم. (د.ت). ديوان أبي العتاهية. دار صادر، بيروت، لبنان.
- الصفّار، رشيد. (١٩٩٧). ديوان الشريف المرتضى. دار البلاغة، بيروت، لبنان.
- العبّادي، عدي بن زيد. (١٩٦٥). ديوان عدي بن زيد (تحقيق: محمد جبار المعيبد). دار الجمهورية للنشر والتوزيع، بغداد، العراق.
- المرتضى، علي بن الحسين الموسوي. (١٩٩٩). ديوان الشريف المرتضى (شرح: محمود مصطفى حلاوي). شركة دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- المرتضى، علي بن الحسين الموسوي. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م تقريبًا). الانتصار. مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
- المتّوق، أحمد محمد. (٢٠٠٨). الشريف المرتضى: حياته، ثقافته، أدبه ونقده. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.62-73
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٦٢-٧٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

- المقدسي، أبو نصر. (١٩٩٣). اللطائف والظرائف (تقديم: عبد الرحيم يوسف الجمل). مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
- المازنداراني، محمد بن علي. (د.ت). معالم العلماء (مراجعة: السيد محمد صادق آل بحر العلوم). دار الضياء، بيروت، لبنان.
- الميداني، أحمد بن محمد. (د.ت). مجمع الأمثال (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. ٢). دار القلم، بيروت، لبنان.
- النجاشي، أحمد بن علي. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م تقريبًا). فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) (تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني). مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
- التوحيدي، أبو حيان. (٢٠٠٧). الصداقة والصديق (تحقيق: الشريبني شريدة). دار الحديث، القاهرة، مصر.
- الشيرازي، صدر الدين علي خان. (١٩٦٢). الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة. المكتبة الحيدرية، النجف، العراق.
- عبد القدوس، صالح. (١٩٦٧). ديوان صالح عبد القدوس (تحقيق: عبد الله الخطيب). دار منشورات البصري، بغداد، العراق.
- عيسى، فوزي. (٢٠٠٩). في الشعر العباسي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- وهبان، عصام لطفي. (٢٠٢٢). الصداقة في شعر القرن الثاني الهجري: الرؤية والأداة. مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، (٣٥).

Index of Sources and References

- Ibn Manzur, M. (1993). Lisan al-Arab (3rd ed.). Dar Sadir, Beirut, Lebanon.
- Ibn Thabit, H. (1994). Diwan Hassan ibn Thabit (2nd ed., annotated by Abd A. Mahna). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.
- Ibn al-Mu‘tazz, A. (n.d.). Classes of Poets (3rd ed., edited by Abd al-Sattar Ahmad Faraj). Dar al-Ma‘arif, Cairo, Egypt.
- Ibn Faris, A. (1979). Mu‘jam al-Muqayis al-Lughah (edited by Abd al-Salam Harun). Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon.
- Abu al-Atahiya, A. (n.d.). Diwan of Abu al-Atahiya. Dar Sadir, Beirut, Lebanon.
- Ibn Habib, M. (n.d.). Diwan Jarir (3rd ed., edited by Nu‘man Muhammad Amin Taha). Dar al-Ma‘arif, Cairo, Egypt.
- Al-Maydani, A. (n.d.). Majma‘ al-Amthal (2nd ed., edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid). Dar al-Qalam, Beirut, Lebanon.
- Al-Najashi, A. (1987 approx.). Rijal al-Najashi (edited by Musa al-Shabiri al-Zanjani). Islamic Publishing Foundation, Qom, Iran.
- Issa, F. (2009). On Abbasid Poetry. Dar al-Ma‘rifah al-Jami‘ah, Alexandria, Egypt.
- Wahban, I. (2022). Friendship in Poetry of the Second Century AH: Vision and Tool. Journal of the Faculty of Arabic Language, (35).

Funding
This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors

Conflict of Interest
The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper

Acknowledgments

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

The authors would like to extend their heartfelt thanks to institution, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance provided by the institution have helped tremendously in completing this research.

References

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .